الشاب بين الثقة بالنفس والغرور

مفهومين يجب التفريق بين مفهومين: (الثّـِقة بالنفس) و(الغرور). فالثّـِقة بالنفس، أو ما يسمّى أحياناً بالإعتداد بالنفس تتأتّى من عوامل عدة، أهمّها: تكرار النجاح، والقدرة على تجاوز الصعوبات والمواقف المحرجة، والحكمة في التعامل، وتوطين النفس على تقبّل النتائج مهما كانت، وهذا شيء إيجابي. أمّا الغرور فشعور بالعظمة وتوهّم الكمال، أي أنّ الفرق بين الثّـِقة بالنفس وبين الغرور، هو أنّ الأولى تقدير للإمكانات المتوافرة، أمّا الغرور ففقدان أو إساءة لهذا التقدير. بمعنى إعطائه من الحجم والقيمة أكبر من استحقاقه. وقد تزداد الثّـِقة بالنفس للدرجة التي يرى صاحبها – في نفسه – القدرة على كلّ ِ شيء. فتنقلب إلى غرور وانتفاخ وتكبّر. ولنأخذ مثلاً آخر، فالفتاة الجميلة التي تقف قبالة المرآة وتلقي على شعرها ووجهها وجسدها نظرات الإعجاب البالغ والإفتتان بمحاسنها، ترى أنّها لا يعوزها شيء وأنها الأجمل بين بنات جنسها، وهذا الرضا عن النفس أو الشّـِكل دليل الفتنة التي تشغل تلك الفتاة عن التفكير بالكمالات أو الفضائل التي يجب أن تتحلّى بها لتوازن بين جمال الشّـِكل وجمال الروح. ولذا قيل: "الراضي عن نَفْسِهِ مَفْتُون"، كما قيل أيضاً: "الإعجاب يمنع من الإزدياد". وقد يكون لدى الرّـِياضيّ الحائز على البطولة بعض الحقّ في الشّعور بالرّـِضا، لأنّ وسام أو كأس الاستحقاق الذي حصل عليه جاء نتيجة جهود ذاتيّة مضنية بذلها من أجل الفوز بهذه المرتبة المتقدّـِمة، أمّا شعور الرّـِضا أو الإعجاب عند الجميلة التي لم تبذل من أجل جمالها جهداً، فشعور ناتج عن تقدير اجتماعي

للجمال أو الشّكل الخارجي، أي أنّ الناس اعتادوا على تقديم الجميلة على الأقلّ جمالاً، وإلا فالجمال ليس قيمة إنسانيّة ثابتة. فالجمال – كمظهرٍ خارجيّ – ليس قيمة إنسانية ثابتة، ذلك أنّ صاحبة العيون الواسعة لا يصحّ لها أن تتباهى على صاحبات العيون الأصغر، فهذه وتلك عطايا الله ولا دخل لسعةِ العينِ وضيقها باختيارهنّ، كما لا علاقة لذلك بانحياز الله ومحاباته لإحداهنّ على الأخرى. إنّ شعورنا بالرضا عن إنجازاتنا وتفوّقنا مبرّر إلى حدٍّ ما، لكن شعورنا بالإنتفاخ فلا مبرر له، هو أشبه بالهواء الذي يدور داخل بالون، أو بالورم الذي قد يحسبه البعض سمنة العافية وما هو بالعافية، وفي ذلك يقول الشاعر:

اُعيذها نظراتٍ منكَ صادقةً **** أن تحسبَ الشّحمَ فيمَن شحمُه ورمُ